الوَصْفُ القرآني
للنَفْسيّة الجَاهلة في أَهلِ بَيْتِ
النُبُوّةِ
-دِرَاسَةٌ وصْفيّةٌ تَحْلِيّليّةٌ-

Quranic description

For the ignorant selfishness of the people of the

House of Prophethood

- Descriptive and Analytical Study -

م. شعيب رعد فرهود

Shuaib Raid Farhood

كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة

College of the Great Imam (may God have mercy on him) University

الملخص

أولى القرآن الكريم مساحة كبيرة للفكر ليستنير من خلاله ويسترشد ليرتقي بالنَّفس البشرية نحو فَهمٍ حقيقي لهذا الوجود، والارتقاء إلى منازل العبادة الحقّة لله تعالى، مسلطاً الضوء على من يعيش ببيت وكنف الأنبياء من الدرجة الأولى وهم أهل بيتهم، إذْ يُعدّون عَلَمٌ من أعلام الأرض الذي يُهتدى بهم، حيث بينت القصة القرآنية مواطن القوّة والضعف في التكوين النَّفسي، والسّبيل المسّتنير لتوجيه النفوس وإرشادها للحياة، ونلاحظ الوصف القرآني لمواقف التدني، فإننا نرى انسلاخ تلك النَّفس البشريّة عن مصدر الهداية والارتضاء بهاوية الهلاك بديلاً، بالرغم من وجود: نَبيٍّ ورسالةٍ ومعجزةٍ. وما جاء بحثي إلا لبيان كيف تتفادى النَّفس في الوقوع في الضلال، وما تشهدها الساحة من صراع فكري وغزو ثقافيّ متسارع، ينتقل عبر الأفكار المغلوطة والألسن البرّاقة إلى مجتمعاتنا.

Abstract

The Holy Qur’an has given a large space for thought to be enlightened through it and guided to elevate the human soul towards a true understanding of this existence, and to ascend to the true places of worship of God Almighty, shedding light on those who live in the house and the shroud of the prophets from The first degree and they are the people of their household, as they are preparing a flag of the earth that guides them, Where the Quranic story showed the strengths and weaknesses in the psychological formation, and the enlightened way to direct and guide souls to life, and we note the Qur’anic description of the attitudes of inferiority, we see that the human soul’s detachment from the source of guidance and contentment with the abyss of perdition as an alternative, despite the presence of: a prophet, a message, and a miracle. And my research came only to show how the soul avoids falling into delusion, and the intellectual conflict and cultural conquest that the arena is witnessing is accelerating, transmitted through false ideas and bright tongues to our societies.

المقدمة

الحَمدُ لله ربِ العالمين، حمداً طيّباً مباركاً فيه، والصّلاة والسَّلام على المبعوث رحمةً للعالمين سّيدنا محمّد وعلى اله وصحبه، ومن والاه إلى يوم الدين، وبعد:

فعنَّدما يستعرض القرآن الكريم أخبار الأمّم الغابرة وقصصهم، فإنَّه وبلا شَك يُرشِّدُنا إلى فَهم المَّاضي لنَسّترشد به لحاضرنا ونهيئ الأسباب لمستقبلنا.

فقد أولى القرآن الكريم أهميّة بالغةً بجميع جوانب الحياة، وأعطى مسَّاحة كبيرة للفكر ليستنير ويسترشد ويرتقي بالنَّفس البشرية نحو فَهمٍ حقيقي لهذا الوجود، والإرتقاء إلى منازلِ العبَّادة الحَقّة لله تعالى، مُسَّلطاً الضَّوء على من يَعيش بِبَيِّت وكَنَّف الأنبياء أو المرسلين من الدرجة الأولى وهم أهلِ بيت النبوّة، باعتبارهم عَلمٌ من أعلام الأرض التي يُهتدى بهم، ومن المعلوم أنَّ القرآن الكريم كتاب هِداية وتَربية، حيث يَجعلُ من مَّواطن القوّة والضَّعفِ في التكوين النَّفسي، سَّبيلاً لتَوجيه النُّفوسِ وإرشَّادها لحياة فُضَّلى في مستويات الحَّق والسَّمو.

وفي الوَصَّفِ القرآني لمواقف التَّدنِّي، نَرى كيف تنسلخ تلك النَّفس البشَّريّة في هاوية الهَّلاك، والإرتضاء بالضَّلال بالرغم من وجود نَبيٍّ ورسالةٍ ومعجزةٍ.

وما كان اختيار بحثي المَّوسُّوم (الوّصَّفَ القرآني للنَفْسيّة الجَاهلة في بَيْتِ النُبُوّةِ -دِرَاسَةٌ وصْفيّةٌ تَحْلِيّليةٌ) إلا لبيان كيفيّة تفادي النَّفس البشَّريّة الوقوع في الضَّلال، في وقت تَشَّهدُ فيها السَّاحة صِّراعَات حَضَّاريَّة وفَكَّريَّة واضحةً ومتفاوتةً بَيَّنَ أقطاب القارات في عالمنا اليوم، آخذين بنظر الاعتبار وجود الطريق الواضح والمُّستَبين الذي تركه لنا القرآن الكريم، وكذلك سُنّة النبي الهادي إلى طريق الحق والفلاح سِّيدنا مُحَّمَّد (صَّلى الله عَليَّه وَسَّلم)، والمقصَّد من ذِكرِ تِلكَ الأحداث الغابرة، هي مَّنافع للنَّاس والأخذ بالعبرة والدروس للسَّامعين، فقد قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، ويمكننا معرفة الأداة المفضَّلة في الأسّلوب القرآني، من خلال عَرضه للقَصَص مرتكزاً على (التصَّوير الفني) فهو يعبر بالصورة المحسَّوسة المعتمدة على المعنى الذهني والحالة النَّفسية، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشّرية، ليُصوَّر لنا مشاهد متكاملة[2] ويشد انتباه القارئ، خَاصة وأنّ هذه الأحداث متعلقة بمن يَعيش ببيت وكَنَف الأنبياء والمرسلين من - الدرجة الأولى- وهم أهلِ بيت النبوّة، إذْ يعدون (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسَّلام) عَلمٌ من أعلامِ الأرض التي يُهتدى بهم.

وقد اقتضت الدراسة بأن يكون البحث مُقسَّم على مبحثين، فجاءَ المبحث الأول في تَعريف المصطلحات

(١) سورة يوسف الآية ١١١.
(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم ص ٣٢ (بتصرف).

ومَفاهيم عنوان البحث، فجعلتُ المطلب الأول: عن تعريف مصطلحات البحث الرئيسية، بينما جعلتُ المطلب الثاني: عن التماس النَّفس للهداية الربانية، وجاء المبحث الثاني: عن صور النَّفس في القرآن، فتكلمت في المطلب الأول: عن أنواع النَّفس في القرآن الكريم، وكان المطلب الثاني: الوصف القَصصي لبيتِ أهل النبوّة، وختمت المبحث بمطلب ثالث: النَّفس البشَّرية بينَ الهِداية والضلال، فالخاتمة وأهمَّ المصَّادر والمراجع، ومن المرجح الحاق هذه الدراسة بدراسة جديدة عن بحثنا الموسوم (أثَر الرسَّالة السَّماوية في النَّفس البَشَّرية- بَينَ النَّظريَّة والتطبيق) لتكون سلسلة – الإسترشاد النَّفسي والتَغيير المُجتمعي- لحلِّ بَعض المشّكلات العصَّرية بإذن الله تعالى.

واخيراً... اسألُ الله تعالى أنْ يَجعل كلماتنا تَدبّراً في قلوبنا وقلوبِ القارئين، ونَقشاً في أذهاننا وأذهانِهم، وطريقاً يَرشُدهم وإيانا، إلى مَّا فيه خير البلادِ والعباد، إنّه وَلّيّ ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول
تعريف بالمصطلحات ومفاهيم عنوان البحث

المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات

غالباً لا يمكن الوقوف على معنى أي بحثٍ، وتحديد المقصود منه بشكل عام، ما لم يكن هناك تعريف لمفرداته الرئيسية، وها أنا أذكر مفردات بحثي الرئيسيّة، وهي: (النَّفسية) و(الجَّاهلة) و(بَيّتُ النُّبوَّة):

أولاً: (النَّفسيّة): من النَّفس، وهي من الألفاظ المشتركة، الذي لا يُفهم معناها بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، وغالبا تسمى النَّفس نفساً، لتولد النَّفس منها واتصاله بها، كما يسمّى الروح روحاً، لأن الروح موجود به، أي بمعنى ارتباط الروح بالنَّفس الذي هو ريح[١]، وهنا أبينّ أبرز المعاني الواردة فيها، منها:

- (الرّوح) الذّي به حياة الجسد، وكلّ إنسانٍ نَفْسٌ حتّى آدم (عليه السَّلام)، والذَّكَرُ والأنثى سواء. وكلُّ شيءٍ بعينه نَفْسٌ. ورجلٌ له نَفسٌ، أي: خُلُق وجَلادة وسَخاء، والنَّفس في أثناء بدن الحي – الجسد- علامة حياته التي تتيح له التصرف[٢].
- (الدَمُ) حيث سُمّيَ الدمُ نَفْسَاً، لأن النَّفس تخرج بخروجه[٣].
- (حقيقة الشيء وذاته) ولأن النَّفس هي حقيقة الحي وهو دونها ليس في هذه الدنيا، استعملت النَّفس في حقيقة الشيء وذاته، منها قوله تعالى ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ ﴾[٤]، وكذلك قوله تعالى ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[٥]، كقولنا: أهلَكَ نَفسهُ، أي: أوقع الهلاكَ

(١) ينظر: لسان العرب ٦/ ٢٣٥، باب: (فصل النون)، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ٢٢٣٨ باب: (نفس).
(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ٢٢٣٧ باب: (نفس).
(٣) ينظر: المحكم والمحيط الاعظم ٨/ ٢٥٢ باب: (ن ف س)، والقاموس المحيط ١/ ٥٧٧، باب: (فصل النون).
(٤) سورة الزمر من الآية ٥٦.
(٥) سورة البقرة من الآية ٤٤

بذاته كلّها.[1]

وقد تكررت لفظة النَّفس، فهي: (نَفس التمييّز)، التي تفارقه إذا نَام، فَلا يَعقَل بها، ويتوفاها الله تعالى، فالنائم في حقيقة الأمر يتنفس، لكنّهُ لا يَعقل شيئاً، حيث يقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]. والأخرى (نفس الحياة)، إذا زالتْ زالَ معها النَّفس، فيموت الإنسان[3].

مما تقدم نلاحظ أنّه لا تعارض فيما ذُكر آنفاً، حيث يجمعها شيء واحد، وهي الصلة بذات الإنسان، ويعبّر بها عن الإنسان جميعه.

اصطلاحا: هو كل ما يُنسب إلى النَّفس من قول أو فعل (إرادي أو غير إرادي) ظاهراً وباطناً، وهو ما يقابل تعريف السلوك عنَّد علماء النَّفس بقولهم: وهو كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك حركي أو نشاط عقلي (كالإدراك والتفكير) وما يشعر به من وجدانيات[4].

ثانيا: (الجَّاهلة): مصدرٌ من يَجْهَلُ جَهْلاً وجَاهِلاً، فالجَاهليّةُ: مصدر مِنْ جَهَلَ، ، وهو نقيض العلم.

(١) ينظر: تاج العروس ٢٣/ ٧٠ باب (ج خ ف)، ومعجم متن اللغة ٥/ ٥١٤ باب (ن).
(٢) سورة الزمر الآية ٤٢.
(٣) ينظر: لسان العرب ٦/ ٢٣٣/ ٢٤٠، وتاج العروس ١٦/ ٥٦٢ باب: (ن ف س).
(٤) ينظر: الدراسات النَّفسية ص١٧.

تقول: جَهَلَ فُلانٌ حَقّهُ، وجُهِلَ عَليَّ، وَجَهَلَ بِهَذا الأمرِ. والجَهَالَة: أنْ تَفْعَلَ فِعْلاً بغير عِلمٍ[5].

اصطلاحاً: الجهل الذي هو ضد الخبرة، يقال: هو يجهل ذلك، أي: لا يعرفه. أي من الجهل فهو اعتقَاد الشَّيء على خلاف ما هو عليه[6]، وفي القرآن الكريم وردت تلك المفردات لتعطي معناً آخراً في الجهل والجاهل، أبرزها:

- عنَّد قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ ﴾[7]؛ يعني الجاهل بحالهم، ولم يرد الجاهل الذي هو ضد العاقل، إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبرة، يقال: هو يجهل ذلك، أي: لا يعرفه[8].
- وقوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[9]؛ من قولك جهل فلان رأيه. وفي حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): ((إن من البيانِ سِحراً، وإن من العلِم جَهْلاً، وإن مِن الشعرِ حُكْماً، وإن من القول عِيالاً))[10] فقوله إنَّ من العِلمِ جَهلًا؛ وهو أن يتكّلف العَالِمُ إلى عِلمِ مَا لا يَعْلَمه فيجهله

(٥) ينظر: كتاب العين ٣/ ٣٩٠ باب الهاء والجيم واللام، ومختار الصحاح ١/ ٦٣، والمخصص ٤/ ٢٩٣
(٦) ينظر: الغريبين في القرآن والحديث ١/ ٣٩٠ باب (جهل). والمعجم الوسيط ١/ ١٤٤.
(٧) سورة البقرة من الآية ٢٧٣
(٨) ينظر: الغريبين في القرآن والحديث ١/ ٣٩٠ باب (جهل).
(٩) سورة هود من الآية ٤٦
(١٠) اخرجه أبو داود في سننه ٧/ ٣٥٩ برقم ٥٠١٢، حديث صحيح لغيره، دون قوله: «وإن من العِلمِ جَهلاً» وقوله: «وإنَّ من القول عيالاً»، وهذا إسناده ضعيف، وأخرجه أبي شيبة ٨/ ٦٩٢، والبزار (٢١٠٠ - كشف الأستار).

ذلك. وفي حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): (إنك امرؤ فيك جاهلية) فعن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حُلّة، وعلى غلامه حُلّة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سَابَبتُ رَجُلاً فَعيّرته بأمّه، فقال لي النبيُّ (صلى الله عليه وسَلم): ((يا أبا ذَرْ أعيَّرتَهُ بأمِّهِ؟ إنك أمرؤ فيك جاهليَّة، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم))[١]. أي: هذا التعبير من أخلاق الجاهلية، ففيك خصلة من أخلاقهم[٢].

ثالثا: بَيت النبوّة:

(البيت) مُفردٌ، وجمعه بيوت، تقول: بَيتُ العرب، ثمّ يُجمع بيوتات وهو جَمْعُ الجَمعِ، والبيت من بيوتات العرب: الذي يَضّمُ شَرَفُ القبيلة، والبيت: عِيَالُ الرجل، وشَرَفُهُ العالي[٣].

(النبوّة) من نَبأ وأنبَأ، أي: أخْبَرَ، وهي مشتقة من النبي، لأنّه أرفع خلق الله، وذلك لأنه يُهتدى به، قال ابن السْكيت: النبي هو الذي أنبأ عن الله، قال: وإن أُخِذَتْ النَبّيُ مِنَ النُبوة والنَبَاوة، وهي الارتفاع من الأرض، لارتفاع قدره، لأَنَّهُ شَّرفٌ على سائرِ الخَّلقِ[٤].

– فبَيتُ النُبوّة: – مدار بحثنا هذا– المراد به آل الأنبياء (عليهم السَّلام) من آبائهم أو أزواجهم أو ابنائهم أو بناتهم[٥]، فأهلُ البيتِ: سُكّانُهُ، وقد وردت الفاظ قريبة في الأهل: فأهل الرجل: زوجه، وأهل الرجل: أخّص الناس به، فهم (آل الشخص) و(قرابته الأدنون)، وكذلك يطلق على(عشيرته)، ولا يصح صرف الأهل إلى غير ذلك بلا ضرورة[٦].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٥ برقم ٣٠ (باب المعاصي من امر الجاهلية) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٢٨٢ برقم ١٦٦١ باب اطعام الملوك مما يأكل.

(٢) ينظر: لسان العرب ١١/ ١٢٩–١٣٠ فصل الجيم، والمحكم والمحيط الأعظم ٤/ ١٦٦

(٣) ينظر: لسان العرب ٢/ ١٥، فصل الباء الموحدة.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ١٥/ ٣٠١، فصل النون.

(٥) للوهلة الأولى يُظنّ أنّ بحثنا فيه قَدْحٌ لبيت الأنبياء (عليهم السَّلام) وذلك بإطلاق لفظة – النَّفسية الجاهلية– في بيت النبوّة، إلّا أنني أؤكد على أنّ شخصَ الأنبياء لا غبار عليهم، فَهُمْ خِيرة البشر، ولم يكن لحظوظ النَّفس والشيطان إليهم سبيلاً، بَيَدَ أنّي كنتُ مُنصفاً في بيان أنّ النَّفس البشريّة لا تخلو من مداخل الهوى والشيطان، فأهل بيت الأنبياء بشرٌ، وقدْ سرت عليهم ما سرى على غيرهم من البشريّة، وأُؤكدُ هنا حرص الأنبياء (عليهم السَّلام) على دين أهل بيتهم أيّما حرص، والشواهد على ذلك كثرة، منها: قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ هود: ٤٥، جاء النداء بعد الطوفان، أي: بعد أنْ بلغت القلوب الحناجر وهم يرون أمواجاً كالجبال، إلّا إننا نلاحظ تفكير سيدنا نوح (عليه السَّلام) بعد الطوفان مباشرة، وهذا يَدلّ على أنّ طيلة فترة الطوفان كان حريصاً أشد الحرص على دين ابنه، ولم يتخلى عنه بالرغم من معاداته له.

وهنا أرى إنّ بحثي كان منصفاً بعيداً عن الميول العاطفي، معتقداً أنّ شِرعَةُ الله جاءت لتنظم حياةً عامرةً بمنهج الله، لتولي الخلافة عليها، ما إنْ أُخذ بأسباب التمكين والفهم الموضوعي الصحيح لدين الله، فهي لا تجامل ولا تميل لصالح فئة دون أخرى، وإنما تبين سنن ونواميس الله تعالى لخلقه (هذا والله اعلم).

(٦) ينظر: لسان العرب ١١/ ٢٨ باب الالف، ومقاييس اللغة ١/ ١٥٠.

المطلب الثاني: التماس النَّفس للهداية الربانية

بعد أنْ تتبعتُ الآيات القرآنية، رأيتُ أهميّة استشعار العبد واضطراره للهداية، وكذلك التماسه لأسبابها، عنَّدها يتخذ الهمّة بأخذ الأسباب المواتية لها، وكأنَّ الفطرة الإنسَّانية السَّليمة تَسوقهُ سَّوقاً إلى معرفتها وتَقصّي حقيقتها، وها أجد أنَّ من المنطق عنَّد كل عاقل يبحث عن سَّعادة الدارين ضَّرورة مُلَّحة بأنْ يَسلك الطريق الدال لتلك الهداية، ومن عَزَفَ عنها لا يَضّر إلا نفسه، وقد بَيّنَ الله تعالى ذلك من خلال آياته، منها قوله تعالى:

- ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[1]
- ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ ﴾[2]
- ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3]
- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[4]
- ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ ﴾[5]
- ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾[6]
- ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[7]
- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[8]
- ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[9].

فهذه الآيات وشبيهاتها، تُبيّن لنا حجج الله تعالى لكل من استشعر لنفسه الهداية، بعد أنْ عرَفها وأقرَّ بها، وآمن بما دلّته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به، فإنما أصاب حظ نفسه، ولنفسه عمل[10].

وبعكس ذلك فإننا نجد بأن القرآن الكريم يسوق لنا آيات أُخَر، تَدّلُ على مَن لم يستدل بتلك الحجج، فإنه قد ظَلَمَ نَفسه وركن إلى الضلال واستسلم لهواه، وبالمقابل من عاش متذبذباً بين هذا وذاك، فإنه قد جَرّ بنفسه إلى المسائلة، وهذا ما بينته بعض آيات الكتاب العزيز، فعنَّد قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٤
(٢) سورة الزمر من الآية ٤١
(٣) سورة فصلت الآية ٤٦
(٤) سورة الجاثية الآية ١٥
(٥) سورة الإسراء من الآية ١٥
(٦) سورة النمل الآية ٤٠
(٧) سورة العنكبوت الآية ٦
(٨) سورة لقمان الآية ١٢
(٩) سورة فاطر من الآية ١٨
(١٠) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢/ ٢٥.

مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[١]، وكذلك عنَّد قوله تعالى: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾[٢]، وكذلك عنَّد قوله تعالى:﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾[٣].

إذن فالجدير بمن أراد أنْ يَلتمس الهداية الربانيّة، أنْ يَعمل العقل بإعمال النَظر والفِكر، فعن طريق الموازنة بين الطريقين، يَعرفُ العاقل طريقه، وفى أي الفريقين يتمنى أن يكون، ومع من يعمل في دنياه، وبأي سلاح يتسلح لمواجهة أخراه، ذلكم ما نراه في هذه الرؤية العاقلة، فهو بصيص له من النور والهداية في قلبه وفكره ليعرف طريق الحق، فينصح ويبذل الخير حتى يهتدى[٤].

المبحث الثاني
صور النَّفس والوصف القرآني لنفسية أهل الانبياء

المطلب الأول: صور النَّفس في القرآن

من خلال تتبعي لآيات القرآن الكريم، وجدت أنّه تعالى صوّر لنا النَّفس الإنسانية وطبيعتها، وكأنها أنواع للنفسيّة البشريّة في جميع المجتمعات المتواجدة في كلّ زمَانٍ ومَكانٍ، فيمكننا تقسيمها إنْ- صَحّ التَعبير- إلى قسميين رئيسيين، هما:

أولاً: النفوس المنقادة لمراد الله تعالى، وهي:

١. النَّفس المطمئنة: وهي أعلى مراتب النَّفس الإنسانية، لِمّا تحمله من صفاتٍ تؤهلّها إلى هذه المرتبة، ففي قوله ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[٥]، فهي تختصر حكاية حال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته، وأثر تلك الحكاية بيان حال من اطمأن بالدنيا، ووصِفَتْ بالاطمئنان، وقيل: هي النَّفس المطمئنة إلى الحق الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شَك ما، وقيل: هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن[٦].

٢. النَّفس اللوامّة: وهي النَّفس التي تشعر بتقصيرها تجاه أوامر ونواهي خالقها، فتراها تلوم صاحبها على فعله وتندم. حيث قال تعالى ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[٧] وهي المتقّيةُ التي تلوم النَّفس يومئذ على تقصيرها في التقوى، وتلوم نفسها وإنْ اجتهدت في الطاعات، قال الفراء[٨]: ليس من نَفَس بَرّة ولا فاجر، إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إنْ عَملت خيراً، قالت: كيف لم أزددْ، وإن عملت شراً، قالت: ليتني ما كنت

(١) سورة فاطر من الآية ٣٢
(٢) سورة الصافات الآية ١١٣
(٣) سورة الكهف الآية ٣٥
(٤) ينظر: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن ١/ ٢٦٠
(٥) سورة الفجر الآيات ٢٧ – ٣٠
(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٩/ ١٥٨.
(٧) سورة القيامة الآية ٢
(٨) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٨، وهو ابو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب (ت ٢٠٧ه). ينظر: إرشاد الأريب ٧/ ٢٧٦ ووفيات الأعيان ٢/ ٢٢٨.

قصرت).[1]

٣. النَّفس الزكيّة: وهي النَّفس النقيّة الطَّاهرة من كل خُبْثٍ ودَنَسْ، فَقَد ذكرها تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[2] فهي من تَطهّرت من الشرك إلى الإيمان[3]، أي: تَطهّر من الكفر والمعاصي بتذكرةٍ واتعاظةٍ بالذكرى، أو تَكثر من التقوى والخَشَّية من الزَّكاءِ، وهو النَّماءُ[4].

٤. النَّفس المُؤْثِرَةَ: بالإمكان إضافتها إلى أنواع النَّفس التي تنقاد إلى مراد الله تعالى، فهي تَحمل أعلى صِفَاةِ ومَراتبِ الحُّبِ وهو الإيثار، فَقَد مَدَحَ الله تعالى تلك الصفة، فقال: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[5]، يعني أنّ نفوسهم لم تتبع مَّا أعطَوا ولَم تَطمحُ إلى شيء منه تحتاج إليه[6].

ثانياً: النفوس المستبيحة لنواهي الله: واذكرها هنا على وجه الاقتضاب، لئلا يطول المقام بتفاصيلها فهي واضحة المعاني والمراد، هي:

١. النَّفس الآثمة: كقوله تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[7]، فكأن الإيمان كان يعارض النَّفس، إلا أن النَّفس قد غلبت وطوّعت له قتل أخيه[8]، فارتكب الاثم، فاصبح من الخاسرين.

٢. النَّفس الأمّارة بالسوء: ذُكرت عنَّد قوله تعالى ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ ﴾[9]، فالنَّفس أمارة بالسوء مائلة الى الشهوات أي: إن جنس النَّفس البشرية لكثيرة الأمر بعمل السوء؛ لما فيها من دواعي الشهوات الجسمية، والأهواء النَّفسية بما ركب فيها من القوى والآلات لتحصيل اللذات، وما يوسوس الشيطان ويزينه لها من النزغات[10].

٣. النَّفس الظالمة: ذُكرت عنَّد قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[11]، أي: وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ بالشرك أو التعدي على الغير مَّا فِي الْأَرْضِ من خزائنها وأموالها لَافْتَدَتْ بِهِ لجعلته فدية لها من العذاب[12].

٤. النَّفس المستكبرة العاتية: ذُكرت عنَّد قوله تعالى ﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[13]، أي: أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد[14].

٥. النَّفس الحاسِّدة: ذُكرت عنَّد قوله تعالى: ﴿ حَسَدًا

(١) ينظر: التبصرة لابن الجوزي ١/ ٣١٧، وانوار التنزيل واسرار التأويل ٥/ ٢٦٥.
(٢) سورة الأعلى الآية ١٤
(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٤٣٢
(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٩/ ١٤٦.
(٥) سورة الحشر من الآية ٩
(٦) ينظر: اسباب نزول القرآن ١/ ٤١٩.
(٧) سورة المائدة من الآية ٣٠
(٨) ينظر: خواطر الامام الشعراوي ٣/ ١٩١٨.
(٩) سورة يوسف من الآية ٥٣
(١٠) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ١٤/ ٩
(١١) سورة يونس الآية ٥٤
(١٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ١١٦
(١٣) سورة الفرقان من الآية ٢١
(١٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٢٧٢

مِّنۢ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾[١]، هنا يقول الامام النيسابوري عن مفهوم الحسد : (وللحسد مراتب أربع: الأولى، أن يحب زوال النعمة عنه وإن لم تحصل له وهذه أخبث. الثانية: أن يحب زوالها عنه إليه كرغبته في داره الحسنة أو امرأته أو ولايته فالمطلوب بالذات حصولها له، فأما زوالها عن غيره فمطلوب بالعرض. الثالثة: أن لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما. الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها عنه)[٢].

٦. النَّفس البخيلة: ذُكرت عنَّد قوله تعالى ﴿ وَمَن يَبۡخَلۡ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾[٣]، واشار اليه عنَّد قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[٤] ومن يوق شح نفسه يعني: يدفع البخل عن نفسه، فأولئك هم الناجين السعداء[٥]. وإضافته إلى النَّفس لأنَّه غريزة فيها، مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل، أي: ومن يُوقَ بتوفيق الله تعالى، شُحّها حتى يُخالفها، فيما يغلب عليها من حُبِّ المَّالِ وبُغضِّ الإنفاق[٦].

كلا الصنفين – انفة الذكر– ممتزجة في آيات عدّة في القرآن الكريم، فهي بطبيعة الحال تصور لنا طبيعة الانسان وابراز قابليته للتغيير حال توافر الدافع الحقيقي نحو الافضل، فيكون ذلك السلوك قابلا للتعديل والتغيير، وهو ما وجهت به آيات القرآن الكريم في عِدَّةِ مَواضِّع، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[٧]، وهذه الصُّوَر للنَّفس تفيد أنَّ النَّفس واحدةٌ لكنَّ لها حالات وصِّفات مُتعددةٌ وبيان تلك الآيات بهذه الصورة يؤكد هذه الفكرة. فالنَّفس في حالتها الفطرية الطبيعية المستقيمة على منهج الله تكون مطمئنة ومستقرةٌ ولكن في بعض الحالات تأتيها خطرات الخروج على هذه الحالةٌ وتوسوس للإنسان بالشر، فإذا خضع الإنسان لهذه الوسوسة وعقد العزم على ارتكاب الشر أو ارتكبه فعلا، فإنها تستفيق من الغفلة وتلوم نفسهاٌ فإذا استمرت في هذا الخضوع تنسى ربها وتصبح أمارة بالسوء، وإذا وصلت إلى هذه المرتبة اتخذت إلهها هواهاٌ فلا تستطيع بعد ذلك فكاكا، إلا برحمة من الله، ولهذا بين الله تعالى تلك الحقيقة، فقال: ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴾[٨]،[٩].

المطلب الثاني: الوصف القصصي لأهل بيت النبوة

لا بُدَّ لنا عنَّد ذكر القَصَص القرآني أنْ نبيّن أهمية ذكرها في القرآن وما أمتازت به، إذْ يَعد ذكرها في

(١) سورة البقرة من الآية ١٠٩
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/ ٣٦٤
(٣) سورة محمد من الآية ٣٨
(٤) سورة الحشر من الآية ٩
(٥) ينظر: بحر العلوم ٣/ ٤٥٨
(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٨/ ٢٢٩
(٧) سورة الرعد من الآية ١١.
(٨) سورة الفرقان الآية ٤٣
(٩) ينظر: علم الاخلاق الاسلامية ١/ ١٧٦ باب (بطلان نظرية دارون)

القرآن الكريم أو حتى في أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) بالغَ الأهمية، فقد أعطى القرآن الكريم اهتماماً واضحاً لها، فنجد أنّ ذكرها يشغل ما يقارب ثُلثَ آياته، وهنا نستبين بعضاً منها:

- بيان تجارب الأمم السابقة، فنستلهم العِبَر ونستلخص الدروس منها.

- امتازت بواقعية حدوثها، فهي ليست من نسيج الخيال، ولمْ تذكر إلا لغايةٍ وهدف، فنُهيأ لحاضرنا ومستقبلنا، لئلا نقع فيما وقع فيه الأولون، ونسلك سُبلَ النُجاحِ والفَلاح.

- تَعد أحد جوانب التربية بالنسبة للمسلم، فهو ميدان فسيح لهذا الجانب.

- يُضيف ذكرها تجارب السلوك والنَّفسية الإنسانية على مرّ العصور مذ نبينا آدم (عليه السَّلام)، وبه تكتمل صورة السلوك الإنساني لكافة الأزمنة والأمكنة[1].

وهناك مزايا كثيرة تكلم بها الباحثون[2]، فقد اكتفيتُ بذكر - أعلاه- لِما يَخصّ البحث، ولعلّ ذكر سبب اختيارنا لبيت النبوة دون سائر القصص جاء في مقدمة بحثني، وأود أنْ أبيّن ما هو مهم، وهو أنّ جميع الأنبياء (عليهم السَّلام) كانوا حريصين أشّد الحرص على دين أهل بيتهم وخواصهم وأقربائهم، والشَّواهد على ذلك كثيرة سَّواءً من آيات القرآن الكريم أو سيرتهم على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم).

أولاً: قصة أخوةِ النبي يُوسف (عليه السَّلام).

قد يلجأ الإنسان إلى الحِيَل اللاشعورية في معاملاته النَّفسية، كالتبرير والتسقيط والكذب والغيرة والقلق والإحساس بالذنب، فهو يعكس طبيعة نفسه التي نشأ عليها، فنلاحظ مثلاً أنّ الصبر كان دائماً على لسان سيدنا يعقوب (عليه السَّلام) والإستعاذة من الظلم دائماً على لسان سيدنا يوسف (عليه السَّلام)، وتوكيد الأيمَان على لسان إخوته[3].

فأخوته ظلوا ضحايا الكَبت الذي عانوه كي يخفوا رغبتهم من التخلص من يوسف، حتى يَخْلُوا لهم حب أبيهم، ولكنهم كانوا يفشلون في اخفائها وكبتها، مِمّا جعل يعقوب(عليه السَّلام) يَشّكُ في حُسن نواياهم عنَّدما دعوا يوسف معهم، فقال لهم: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾[4]،[5] وكانت نتيجة هذه الحِيَل اللاشعورية، إنحرافهم بتفكيرهم بكل الوسائل، بأنْ يَحولوا بين يُوسُفَ وأبيه، وفعلوا فعلتهم التي سولت لهم انفسهم بادعائهم مقتله، وبيان دليلهم بتلطيخ قميصه بالدم، وقد وقعوا بعدها بحالة

(١) ينظر: قصص القرآن لابن كثير ص٣-٤، والقصص القرآني في سورة هود - دراسة موضوعية- ص ١٤، والقصص القرآني- رؤية فنية ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) منهم على سبيل المثال: عبد الكريم الخطيب في كتابه (القصص القرآني في منظومه ومفهومه)، ص:٤٨ وما بعدها. و محمد احمد محمد في كتابه (نفحات من علوم القرآن) ص ١٠٧.

(٣) ينظر: يوسف في القرآن والسنة ١٢٣-١٢٤

(٤) سورة يوسف من الآية ١٣

(٥) ينظر: سورة يوسف دراسة تحليلية، ص ٤٩

التبرير كما يفعل المذنب، إذْ يعمد إلى سلوكه ليبين لنفسه وللناس أنّ لسلوكه هذا أسباباً معقولةً، حين قالوا: إنّا ذهبنا نَسْتَبق[١]، ففي نظرهم إنهم نجحوا في ذلك، بأن غُيّب يوسف عن أبيه قرابة ثلاثون عاماً، وهنا سؤال يُطرح عَلَامَ هذه المدّة في الفراق؟ ولعلّ الأقرب إلى الصواب- بلا شّك لحكمةٍ لا يعلمها إلا الله- (ولكنني أرى) أنّ الله تعالى أراد أن يخلو قلب يعقوب بأي حب سوى حب الله تعالى، وهنا يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[٢]، إذا كان هذا حال المُسّلم مع نَبيِّهِ، فكيف حال النَّبيُّ مع ربِّه عَزَّ وَجَّل!!.

هذا المشهد القرآني في الحدث، يعطينا تصوراً واضحاً عمّا كانت عليه انفسهم، فنلاحظ أنّ الحب الأبوي الشديد في موقف سيدنا يعقوب من يوسف وأخيه، وكذلك الحَسَّد الذي تَجَّلى في أُخوةِ يُوسُف تِجَاهَهُ، هذه النَّفسَّيات التي كانت في بيت النبي يعقوب (عليه السَّلام)، وتترجح أسباب الجَّهل في نفسية أخوة يُوسُفَ في نَظرنا، إلى ما ذَكرتُ بعضه آنفاً، فهي تبقى طبيعة بشريّة، بالرغم من وجود ما يؤهلها لترتقي.

هنا نبيّن الأسباب التي دعتهم إلى أنْ يتخذوا تلك الخطوات، واستسلام أنفسِّهم بقصَّدِهم إيذاءَ يُوسُفَ (عليه السَّلام)، وذلك من خلال التصوير القرآني للحدث، ومنها:

١. تفاوت الفضائل: أنّ يَعقوب (عليه السَّلام) كان يُفضّل يُوسُف وأخاه على سائر الأولاد، وهذا السبب كفيل بأن تجعل نفوس أخوته تغتاظ لهذا التفضيل وتأذوا منه، إذْ أنهم كانوا أكبر سِنّاً منهما، وأنهم كانوا أكثر قوّةً وأكثر قياماً بمصالح الأب منهما، أضف إلى ذلك أنهم قالوا: إنا نحن القائمون بدفع المفاسد والآفات، والمشتغلون بتحصيل المنافع والخيرات، هكذا كانوا متقدمين على يوسف وأخيه في هذه الفضائل، ثم بعد كل هذا إنه (عليه السَّلام) كان يُفضّل يُوسف وأخاه عليهم، وهذه الجزئية ذكرها الله تعالى فقال:﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٣]، يعني هذا حَيفٌ ظاهرٌ وضلالٌ بَيّنٌ[٤].

٢. الحَسْد: من الأمور المعلومة أن تفضيل بعض الأولاد على بعض يورث الحقد والحسد، ويورث الآفات، فقولهم ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾[٥]، هو مَحَضُ الحسد، والحسد من أمهات الكبائر، لا سيما وقد أقدموا على الكذب بسبب ذلك الحسد، وعلى تضييع ذلك الأخ الصالح وإلقائه في ذل العبودية وتبعيده عن الأب المشفق، وألقوا أباهم في الحزن الدائم والأسف العظيم، وأقدموا على الكذب، فما بقيت خصلة مذمومة ولا طريقة في الشر والفساد إلا وقد أتوا بها[٦].

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن ٥١٥- ٥١٧
(٢) اخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٢ برقم ١٧
(٣) سورة يوسف من الآية ٨
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب ١٨/ ٤٢٣- ٤٢٤
(٥) سورة يوسف الآية ٨
(٦) ينظر: خواطر الامام الشعراوي ٥/ ٣٠٧٨ (وما بعدها)

٣. الاجتهادُ الخاطئ: إنّ أولاد يعقوب (عليه السَّلام) إن كانوا قد آمنوا بكونه رسولاً حقاً من عنَّد الله تعالى، إلّا أنَهم اجتهدوا وفعلوا افعالاً مخصوصةً بمجرد الاجتهاد، وذلك لأنهم كانوا يقولون هما صَبيّان ما بلغا العقل الكامل ونحن متقدمون عليهما في السن والعقل والكفاية والمنفعة وكثرة الخدمة والقيام بالمهمات، وإصراره على تقديم يوسف علينا يخالف هذا الدليل[١].

٤. تفاوت المحبة: من المعلوم أنّ سيدنا يعقوب (عليه السَّلام) كان له زيادة في المحبة ليوسف وأخوُهُ وتخصَّيصَّهما بمزيد من البِرّ دون إخوتِه، وبتحصيل حاصل تَميل النَّفس، فهي من موجبات الفطرة، إذْ ليست في الوسِّع والطَّاقة، فالميلان القلبيُّ واضح[٢]. مِمَّا جَعَلَ الحقد يَستّشَّري في نفسَّيات إخوَتِه.

ثانياً: قصة ابن النبي نوح (عليه السَّلام)

سَلّطَ القرآن الكريم الضوءَ على قصة أخرى من قصص البيت النبوي، بعالمها النَّفسي والشعوري وأبرزت شخصيَّة أخرى وهي شخصيَّة الابن الكافر والأب النبي المُوَحِدْ، وبَيّنت البُعْدَ النَّفسي لتلك الشخصية، وهو الأهم في الشخصية الإنسانية، حيث سَوّلتْ له نفسه عناداً وكفراً بما جاء به ابيه، بالرغم من حرص نبي الله نوح (عليه السَّلام) على انقاذ ابنه من الغرق ودخوله مع زمرة الكافرين. ونبيّن الأسباب التي دعته إلى الكفر بما جاء به أباه النَبيّ، فمن خلال التصوير القرآني للحدث:

- أرى أنّ من الأسباب الرئيسَّة لإصرار ابنه على الكفر، هي (البيئة المحيطة) التي أثرت تأثيراً مباشراً عليه، فعنَّدما لاحظ استمرار القوم بالسخرية والاستهزاء تارةً والعناد فالكفر تارة أخرى، أكبر الأثر في نفسه، وذلك بأن المنطق يقول: استمرار الدعوة لنبي الله نوح، ما يقارب ألف سنة ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[٣] وهي مُدّةٌ طويلةٌ جداً، مقارنةً بدعوة الأنبياء إلى دين التوحيد، حتى وصل الحال بهم أنْ طلبوا منه ما يعدهم به ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٤] أي: من النقمة والعذاب، أدعُ علينا بما شئت فليأتنا ما تدعو به إن كنت من الصادقين[٥]، هكذا كان العناد والمجادلة فكان حاله أسير التأثّر البيئي، أذْ إنّ الفرد يكتسب من الجماعة بفعل العدد شعوراً مؤثراً وبقدرة لا تقهر، بينما الفرد وحده قد يردع غرائزه ويخضعها لعقله، وهو في وسط الجماعة يذعن لغرائزهم طوعاً؛ نظراً لزوال الشعور بالمسئولية ما دامت الجماعة غافلةً، وغير مسؤولة، عنَّدها تسري إليه بالعدوى المشاعر الجماعية، بطريقة لم يتوصل إلى تفسيرها، وإن كانت موجودة، وتسهل ملاحظتها، وانتقال شعور الجماعة إلى الفرد بالعدوى

(١) ينظر: المصدر نفسه ٧/ ٤٢٧٦
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ١٨ / ٤٢٣.
(٣) سورة العنكبوت الآية ١٤.
(٤) سورة هود الآية ٣٢.
(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٦

يُسَهِّل للفرد أن يضحي بمصالحه الشخصية في سبيل الجماعة العامة، وهذا استعداد مخالف لطبيعة الفرد[١].

– وعلى الرغم من مُدّة الدعوة، إلا أنّه لم يؤمن به إلا قليل، حيث نصّ القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٢] ، وربما حدثته نفسه: لو كان أبي على الحق لما تَرَكَتْ الأغلبية اتباعَهُ، واتبعه القلّة، حيث كانوا ثمانون إنسانا منهم: ثلاثة من بنيه، وهم سام، وحام، ويافث، وزوجاتهم، وقيل: كانوا عشرة، وقيل: سبعة، وقيل: كانوا اثنين وسبعين، وقيل: غير ذلك[٣].

إذن العدد مقابل المدة، لا يعتبر شيئاً أمام المجهود الذي قدمّه النبي أمام قومه، فكان هذان العاملان كفيلين بأن ينحرف التفكير عن جادة الصواب ويكون صراع النَّفس بين الحقيقة والنظريات، فالحقيقة أنّ أباه نَبيّ، بينما النظريات أنّ كل العوامل غير مواتية لصالح أبيه، حتى جعلت نفسه البشرية ترضخ وتستسلم للنظريات، ويَدّل الحال التي آلت إليه الأمور، بأن قال لهم ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾[٤] دلالة على حال عنادهم وكفرهم وأذيّتهم له، بأن وصف أعمالهم بعمل المجرمين.

ثالثا: قصة زوجة النبي لوط وزوجة النبي نوح (عليهما السَّلام)

من الملاحظ أن الله جعل حالة هاتين المرأتين عِظَةً وتنبيهاً للذين كفروا، ليذّكرهم بأنّ الله لا يَصرفه عن وعيده صارف، فلا يحسبوا أن لهم شفعاء عنَّد الله، فإن هم أقلعوا عن هذا الحسبان، أقبلوا على التدّبر في النجاة من وعيده، بالنظر في دلائل دعوة القرآن وصدق الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فلو كان صارف يصرف الله عن غضبه، لكان أولى الأشياء بذلك مكانة هاتين المرأتين من زوجيهما رسولي رب العالمين، ولتكون في ذكرهما فائدة مستجدة.

فبرزت لنا تلك الشخصيتان، إذْ لمْ تُطرق من ذي قبل، بتصوير عالَمُهما النَّفسي والشعوري لأهل بيت النبّوة، وهما زوجتي سيدنا نوح وسيدنا لوط، حيث يبين الله تعالى ذلك بقوله ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[٥]، فهما انفصمتا عن زوجيهما الصالحين بأعمالهما الفاسدة، وما سولت لهما انفسهما فكانتا من الكافرين، ولم تنفعهما صلة القرابة (الزوج)، ولم تنقذهما من عذاب الله؛ لأنهما تآمرتا على زوجيهما، وأفشيا سرهما إلى قومهما، فكانا عونا للكافرين، ومشاركين للباطل في وقفته ضد الحق وأهله، هذه القرابة الأسرية مرفوضة؛ لأنها قامت على غير هدى وطاعة فالقرابة هي الطاعة والدين، ولا قرابة لعاص، ولا لخارج عن أوامر الله.[٦] فوصفتا

(١) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ١/ ٥٦٤–٥٦٥ (بتصرف بسيط).
(٢) سورة هود من الآية ٤٠.
(٣) ينظر: فتح القدير ٢/ ٥٦٦.
(٤) سورة هود من الآية ٣٥
(٥) سورة التحريم الآية ١٠.
(٦) ينظر: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن ١/ ٢٥٥.

بأنهما خانتاهما. قيل لابن عباس (رضي الله عنهما): ما كانت تلك الخيانة؟ فقال: كانت امرأة نوح تقول: زوجي مجنون، وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه إذا نزلوا به[١]. وهذا ما اشارت إليه الآية الكريمة إلى أن امرأة لوط زوجها وتَضمر الكفر وموالاة أهل القرية على فسادهم، فبيت النبوة لسيدنا لوط (عليه السَّلام) كان كله من المسلمين، ولم يكن كله من المؤمنين فلذلك لم ينج منهم إلا الذين اتصفوا بالإيمان والإسلام معا[٢]. أمّا زوجة نبينا نوح (عليه السَّلام) فأنها تَعَمَد كلّما أوحي إليه، أفشته إلى المشركين أو كانت تخبر الناس أنه مجنون وتخبر الجبابرة بمن آمن به[٣].

ويتبين لنا منهج القرآن الكريم في التعامل مع الكافر، وإنْ كان تحت سقف واحد، فنلاحظ قطع العلائق، وجعل الأقارب من جملة الأجانب بل أبعدَ منهم، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً، كحال امرأة نوح ولوط، لّما خانتاهما لم يغنِ هذان الرسولان عنهما شيئاً، وقيل لهما في اليوم الآخر: أدخلا النار[٤]، ونبينّ الأسباب التي دعتهما إلى الكفر بما جاء به زوجيهما النبَيَين، ومن خلال التصوير القرآني:

١. سوء التدبّر: يمكننا أنْ نَستشعر ذلك من خلال التصوير القرآني لتلك الشخصيتين، بسوء تدبيرهما وهذا المسلك الذي يتنافى مع ما يقتضيه العقل، السليم، والفطرة الصحيحة، حيث أذابتا الشخصية الحقيقية للإنسان ومخالفتهما الفطرة السليمة، خاصة وانهما يعيشان في كنف زوجيهما في البيت النبوي.

٢. مرض القلوب- النميمة: نلاحظ أنّ خيانتهما هو مرض من أمراض القلوب، فكانت (النميمة) كفيلةً بأن تجعلهما من أهل النار، فقد أخرج ابن عدي والبيهقي في شُعب الإيمان، قال: (إنما كانت خيانة امرأة نوح وامرأة لوط النميمة)[٥]، إذاً فخيانتهما الرئيسية هي النميمة، وتمامه في رواية: (كانتا إذا أوحى الله تعالى بشيء أفشتاه للمشركين)[٦].

هذان أنموذجان من جنس النساء تُمثل النزعة النَّفسية، وهي تنسلخ عن طريق الحق والهداية، ويمكننا أنْ نَستشعر حال نفسيتهما معاً، من خلال التصوير القرآني الفريد في كيفية تعطيل التدّبر، بعدم إبراز الشخصية الحقيقية للإنسان، وهو بكنف البيت النبوّي، وضيقوا على اتباع الأنبياء حريتهم في المعتقد والعمّل، وتخلّوا عن المسؤوليّة المناطة بهم كأزواج.

رابعاً: قصة أبي النَّبيِّ إبراهيم (عليه السَّلام)

يُصَوِّرُ القرآن الكريم لنا شَّخصيَّة جديدة تختلف عن سَّابقاتها من الشَّخصيِّات وهو شَّخصيَّة الأب الكافر[٧] مع ابنه النَّبيّ، وذلك التنوع في عَرض

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ١٧/ ٣٥١.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٧/ ٨
(٣) ينظر: تفسير القرآن (مختصر تفسير الماوردي) ٣/ ٣٣٩، وعون الحنان في شرح الامثال في القرآن ١/ ٢٥٥.
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب٣٠/ ٥٧٤.
(٥) اخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٤٥١ برقم ١٠٦٠٨.
(٦) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٤/ ٣٥٧.
(٧) اختلف المفسرون في (آزر) هل هو الأب الحقيقي لسيدنا

الشَّخصيات الرئيسية في بيت النبوّة له من الأبعَاد والحِكَم الربانيّة، فنلاحظ من خلال السياق القرآني في قصة إبراهيم (عليه السَّلام) مع أبيه آزار[1] إنه أبتدأ تلك الدعوة الرحيمة، بألفاظ طيَّبة كريمَّة وجَّهها النَّبي إبراهيم لأبيه آزر، ذكرها صاحب تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- بعبارات يُستأنس بها، عن أدبه (عليه السَّلام) مع أبيه في خمسة أوجه، فقال: (الأول: ندائه: بيا أبت، ولم يقل يا آزر، أو يا أبي. الثاني: قوله: (ما لا يَسْمَعُ)، ولم يقل: لِمَ تعبد الخشب والحجر. الثالث: قوله: (إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ)، ولم يقل له: أنك جاهل ضال. الرابع: قوله: (إِنِّي أَخافُ)، حيث عبَّر له بالخوف ولم يجزم له بالعذاب. الخامس: في قوله: (أَنْ يَمَسَّكَ)، حيث عبَّر بالمس ولم يُعبر باللحوق أو النزول. لكي يؤمن ويوحد الله فينجو ويَسْعَدُ)[2]، إلاَّ أنَّ الردَّ كان رَّداً خالياً من عبارات الرحمَّة والأدب، بل مِلؤُها الغِلظة والفظاظة والوعيد والتهديد، وهي ما أخبر به تعالى عنه في قوله: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[3]، هذا الرد يُبينّ لنا فحوى تلك النَّفسيّة التي مُلئتْ غِلظةً وقساوةً.

هكذا صوّرتْ لنا مفردات الآية الصورة الحقيقية لشَّخص آزر، كقوله: «لئن لمْ تنته» و«لأرجمنك» و«واهجرني ملياً» بأبشع الألفاظ وأقبحها، وطلب منه الابتعاد أيضاً لئلا ينالَ منه. كان هذا رد آزر الكافر المشرك، ولكن كانت إجابة سيدنا إبراهيم المؤمن الموحد «قال سلامٌ عليك» أي: أمانٌ لكَ منّي يا أبتاه،

إبراهيم (عليه السَّلام) أم أنّه عَمّهُ، وجاءت روايات مختلفة، والذي أراه وأميل إليه (والله أعلم) -بأنه عَمّهُ-، وذلك لأسباب ذُكِرَتْ عن علماء التفسير، منها:

أولاً: إن الأبوّة تمثل ما هو أصلٌ للفرد،(الأب، والجد، وجد الجد أب)، وأطلقت الأبوّة على المساوي للأب، مثل العَمْ. وجاء مثل هذا في القرآن الكريم، قول: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٣٣) وإذا ما عددناهم نجدهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وأبوه إسحاق، وإسحاق بن إبراهيم، وبرغم ذلك جاء سيدنا إسماعيل وسط هؤلاء الآباء، فكأننا نقول: إبراهيم أب، ويبقى اثنان: هما إسماعيل وإسحاق. وإسماعيل هو أخ لإسحاق، (كأن) القرآن نطق بأن العم يطلق عليه أب، (والله اعلم)

ثانياً: حديث النبي(صلى الله عليه وسلم) يقول:(خَرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء)، فكأن النبي(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) أخبر أنه من سلسلة نسب مُوَحِّد، فلو أنّ آزر الوالد الحقيقي لإبراهيم، لكان سيدنا محمد(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) من ذريته، وهو قول يَدّل على أنّ نَسبة الشريف مُطهّر من الشرك من جهتي الآباء والأمهات.

ثالثاً: تمّ تحديد الاسم العلم، حتى ينصرف الذهن إلى السؤال عن العم؛ لأنه لو أراد الأب الحقيقي لما ذكر اسمه واكتفى بالسؤال عنه بالأبوة فقط. هذا ملخص لأدلة بعض علماء التفسير. للاستفاضة أكثر ينظر: خواطر الإمام الشعراوي ج٦ و ج١٥،(فقد تكلّم في ذلك وأبدع).

(١) هو (تارح) أو (تارخ) بالخاء والحاء، بالعربية بالحاء وعنَّد أهل الكتاب بالخاء، وقد كتب العلامة أحمد شاكر في تحقيقه لكتاب «المعرب» للجواليقي بحثًا بذلك ص٤٠٧ – ٤١٣. وقد ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٩٥) عن ابن عباس أن اسم (آزر) (تارح).

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣/ ٣٣٦.

(٣) سورة مريم الآية ٤٦.

فلا أعاودك فيما كرهت منّي قط، وسأقابل إساءتك بإحسان [1]، بهذه العبارة الحَسنة رَدَّ على أبيه، حتى وصفه الله تعالى بصفة الحِلْمِ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[2]، هنا يذكر الإمام الرازي في تفسيره كلاماً جميلاً يُستأنس به، حول مفردة (الأواه) فيقول: «واعلم أن اشتقاق الأوّاه من قول الرجل عنَّد شدّة حزنه أوه، والسبب فيه أن عنَّد الحزن يختنق الروح القلبي في داخل القلب ويشتد حرقه، فالإنسان يخرج ذلك النَّفس المحترق من القلب ليخفف بعض ما به، هذا هو الأصل في اشتقاق هذا اللفظ»[3].

فما هي الأسباب التي دعته إلى الكفر بما جاء به ابنه النبي؟ فنلاحظ منها:

١. تعطيل العقل: فإنَّ من كان بهذه النقائض في التعامل، وسوء التدبير، لا يمكن أنْ يكون إنساناً يخضع إلى ما يطمئن اليه قلبه، ويأبى اتباع الحق، إلا أنْ يكون معطلاً لعقله، ويأبى- عمداً- التمييز بين الصواب والخطأ، وهذا المسلك الذي يتنافى وما يقتضيه العقل السليم، والفطرة الصحيحة[4].

جاء تحليلي لنفسيته من خلال اختياره للمعبود، إذْ أنّ العبادة هي أقصى غاية الخضوع والتذلل، فكيف سمح له عقله عبادة الأوثان وترك عبادة الرحمن، فما ضنك بإلهةٍ صنعت من حجرٍ أو شجرٍ يَقبل العقل بالخضوع لها، إلّا أنْ يكون معطلاً له، إذْ لاستنكف العقل السليم عن عبادتها، كما فعل سيدنا إبراهيم عنَّدما قال تعالى﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[5]، والشواهد كثيرةٌ من خلال محاورته لأبيه، وهذا ما بينه تعالى في القصص القرآني.

٢. المُكابرة والعناد: روى أن (آزر) خرج هو وقومه في يوم عيدٍ لهم، فبدأوا ببيت الأصنام، فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعامًا، وقالوا: إلى أَن نرجع تكون الآلهة قد بَرَّكت عليه فنأْكل منه[6].

فهل يُظن أنّه سيترك تلك العادات وهو من يحفظ تلك التقاليد لقومه، ويخص تلك الجمادات بالعبادة، بأنْ يتركها ويتجه الى طريق التوحيد الخالص لله تعالى، خاصة وأن مهنته هي صناعة الأصنام، ولو فكر لوجدوا نفسه أشرف منها إذْ هو الصانع، والأصنام صنيعته، لكنّه أصل المكابرة وأساس العناد، فكيف يتخلى عنها وهو المروج لها في مهنته، والمحافظ عليها في تقاليده وعادته، فتلك المشاهد القرآنية لهذا الحدث، والاسباب المرشحة انفاً، تُعطينا التصوّر الحقيقي عمّا كانت عليه النَّفسيّة لهذه الشخصية الكافرة المشركة، وكيف تعاملتْ مع موقف النبي المؤمن والموّحد، التي جعلته يأبى المِلّة الحنيفة الموافقةِ للفطرة السّليمة.

المطلب الثالث: النَّفس البشريّة بين الهداية والضلال

في هذا المطلب نتعرف على النَّفس البشرية وما ينتابها من شيءٌ من التنازع، فتراها مستقرة عنَّد فطرتها

(١) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٣/ ٣١٢.
(٢) سورة التوبة من الآية ١١٤.
(٣) مفاتيح الغيب ١٦/ ١٥٩.
(٤) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣/ ٣٣٥
(٥) سورة الصافات الآيات ٩٤-٩٥.
(٦) ينظر: التفسير الوسيط ٦/ ١١٣٠.

السليمة التي أودعها الله فيها، أو تنسلخ عنها، فهي تتأثر بالمحيط وبالأفكار، وذاك التأثير قد يختلف من شخص وآخر ومجتمع وآخر، إلّا أنّ الجهل المطبق في فَهَمِ معنى الوجود الحقيقي للإنسان على هذه المعمورة، هو السِمَةَ الغالبة ضد النَّفس، فتراها متذبذبة بين هذا وذاك، ومن هنا، نبين الآتي:

– هذا التنوع في نفسيات الشخصيات «آنفة الذكر– ما بَين أبٍ وابنٍ وزوجهٍ وأخٍ، يصوّر لنا أنّ النَّفس معرّضة للتذبذب، ما دامتْ غير مستبصرة لحقيقة وجودها، بالرغم من قربها من مصدر الهداية! فكيف بمن سيكون بعيداً أشد البعد عن مصدرها، ومُعْرِضَاً عنها، فينتابه شيء من الاضطراب والحيرة، اضف الى ذلك الضيق النَّفسي وعدم استقراره، ولذلك يقول تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[1]. فيسلبه القناعة حتى لا يشبع، فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة، ومع الإعراض الحرص والشح، فعيشه ضنك وحاله مظلمة[2].

– نرى أنّ جميع نفسيّات الشخصيات الوارد ذكرها اشتركت في صفات متقاربة، إيبائها التفّكر والتدبّر، وضيّقت مساحة العقل الذي وهبها الله اليها، والله تعالى يحثنا بآيات عدّة على أنْ يكون للعقل الدور في بيان التمييز ما بين الخطأ والصواب أو ما بين الحق والباطل، فقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[3]، وهو نداء الله الى البشرية جمعاء بالتفكر والتدبر، فنلاحظ عنَّد قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[4]. أي: ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات[5].

– تصاب القلوب بالأمراض كما يصاب الجسد، بَيَدَ أنّ مَرض الجسد يكون علاجه غالباً قصير المدى، ولكن علاج القلوب علاجه طويل المدى، فقد يُفارق الإنسان الحياة، ولا زالت بعض الأمراض مغروسة في قلبه، وقد بَيّن الله تعالى تأثير تلك الأمراض على النَّفس، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[6]، فيكون تأثيره مباشراً في الهداية أو الضَّلال، وقد بَيَّنا في مَطلبنا السَّابق مَرضَّاً من أمراض القلوب وهو النَّميمَّة، إذْ يُشَّكل انعطافاً خطيراً، ما بين هِدايَّة الإنسَّان وضَّلاله، يُرى تأثيره بعد المَّمات، والشَّواهد كثيرة في كتاب الله واحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) منها: أنه مَرّ بقبرين يعذبان، فقال: (إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها بنصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟

(١) سورة طه الآيات ١٢٤ – ١٢٦

(٢) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢/ ٣٣٨

(٣) سورة يس الآية ٦٨

(٤) سورة النساء الآية ٨٢

(٥) ينظر: ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ٨/ ٩٩

(٦) سورة محمد الآية ٢٤

فقال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا)[1].

- تتأثر النَّفس بالعوامّل الخارجيّة أكثر بكثير من تأثرها منفردةً، لاحظنا ذلك من خلال معطيات آيات الذكر الحكيم، وهو يصوّر لنا مشّاهد الحوار، منها على سبيل المثال، ما بين النبي نوحٍ (عليه السَّلام) وابنهِ الكافر، الذي ربما تأثر تأثراً واضحاً بالمحيط الخارجي، ممّا انعكس سَلباً على اتخاذ قراراته، ولعل من أهم الأسباب التي تعين المرء على الاستمرار في تربية نفسه وبذل جهده في سبيل الله هو وجوده في وسط صالح، وصحبة طيبة، إذا نسي ذكروه، وإذا عزم أعانوه، وإذا غاب تفقدوه[2]، فمن أجل ذلك أرشدنا القرآن الكريم على اتخاذ الصحبة الصّالحة والصبر عليهم، لأنّهم الطريق الموصل إلى مراد الله، فقال تعالى موجهاً ومعلماً النبي (صلى الله عليه وسلم) وأمتّه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[3]، حتى قال النبي في نزولها: (الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أنْ أصبّر نفسّي مع رجال من أمتّي، معكم المحيا ومعكم المّمات)[4]، فقوّة الإنسان إنما هي في ذكاء لبّه، وحياة قلبه، وإذعانه للحق متى لا حت له أماراته، أما المال والنشب، والحشم والأعوان فهي عوار تجيء وترتحل، وتفرّ حينا ثم تنتقل[5]. والمجال في هذا يطول لا يتّسع المقام لذكرها.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصّلاة والسَّلام على نبيّه المصطفى محمّد (صلّى الله عليه وسّلم) وعلى آله وصحبه ومن سَّار على هديه واقتفى، أمّا بَعد:

فإن القرآن الكريم كتابُ هداية وتربية، حيث يَجعل من مَّواطن القوَّة والضَّعفِ في التكوين النَّفسي، سبيلاً لتوجيه النُّفوس وإرشَّادها لحياة فُضَّلى في مسَّتويات الحقّ والسَّمو، وكذلك نُلاحظ الوَصَّف القرآني لمواقف التدني وكيف تَسّقط تلك النَّفس إلى هاوية الهلاك، والإرتضاء بالضَّلال بالرغم من وجود نَبيٍّ ورسَّالةٍ ومُعجزةٍ، ولاحظنا تَصَّوير القرآن الكريم لتلك المشاهد المحسوسَّة، المعتمدة على المعنى الذهني والحالة النَّفسية، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشريّة، وكيف تتذبذب بين الهداية والضلال، فترى النَّفسية الانسانية تختلف بين هذا وذاك، وهم في البيت الواحد، فمن خلال بحثنا نبين بعض ما توصلتُ إليه:

١. إنَّ أنبياء الله ورُسُّله لم يتأثروا بالكفر والإعراض، بل تَمسّكوا وأصرّوا على إكمال مُّهمَّة التبليغ، مهما كانت الظُّروف، فإبراهيم (عليه السَّلام) لم تتأثر أو تتضرر دعوته بكفر ابيه، ونوح لم تتأثر أو تتضرر دعوته بكفر ابنه، ولوط لم تتأثر دعوته بكفر زوجته، وكذلك يوسف لم تتأثر دعوته بالرغم من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٧ برقم ٦٠٥٥ باب: النميمة من الكبائر.
(٢) ينظر: التوازن التربوي واهميته لكل مسلم ١/ ٤٤
(٣) سورة الكهف الآية ٢٨.
(٤) ينظر: أسباب نزول القرآن ١/ ٢٩٨.
(٥) ينظر: تفسير المراغي ٣٠/ ٣٩

مخالفة اخوته، ما دام الهدف واضحاً ويستحق المثابرة.

٢. من خلال القَصصِّ القرآني نلاحظ مَسَّلك الأنبياء- دعوتهم وموعظتهم- أحسَّن مِّنهاجٍ وأقومِ سبيلٍ وأبدع احتجاج، بِحُسّنِ أدبٍ وخُلُقٍ جميل، ليرسِّموا للأجيال الطريق العملي- التطبيقي- الصحيح، مهما اختلفت الأحوال وتعدد الصور.

٣. تلك النَّفسيات منتشرة في كل زمان ومكان لا يمكن تقليصها إلا بتسخير الإمكانيات العلمية والفكرية والتربوية في (الوعظ والإرشاد والمنطق السليم) معتمدةً على منظومةٍ متكاملةٍ ما بين المؤسسات ذات العلاقة وبنظام عملي منسق ومدروس، لتؤتي أُكُلها ولو بَعد حين، فمن أجل الخروج من مستنقع الجهل والظلام لابد من ايجاد حلول عمليّة تبدأ بقناعة النَّفس بالتغير ومن ثم العائلة والمجتمع فالأمّة.

٤. القرب والبعد من أهل الرشِّد والصَّلاح لا ينفع النَّفس شيئاً، إنْ لمْ تَسّلك مَسَّلكهم وتستنير بما استناروا به، فابن نوح وزوجته لم تغنِ عنهما صلتهما وقرابتهما من نوح (عليه السَّلام)، أو أبا سيدنا ابراهيم (عليه السَّلام) وغيرهم، فكل نفس تتحمل وزرها، وشواهد القرآن تبين تلك الحقيقة منها قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[1]، فالقرب والبعد من مصدر الهداية لا يشفع لصاحبه، إنْ لمْ يَستدرك نفسه.

واخيراً.. لا أدعيّ أنّني قد احطّتُ بهذا الموضوع من جميع جوانبه، إلاَّ أنّ هذا جُهّدٌ مُقّل ومتواضع عَلنّي التمسُّ رضا ربي وأتقرّب به، تاركاً المجالَ فَسيحاً أمَّام اخوتي الباحثين، ليقومّوا أو يغيّروا ما يرونه مناسباً، علّهم إلى الصواب أقرب.

والحَمْدُ للهِ ربِ العالمينَ

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)- دار إحياء التراث العربي – بيروت
- اسباب نزول القرآن- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)- تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان – دار الإصلاح – الدمام- الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري- مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية – الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي (ت٣٢٧هـ)- تحقيق: أسعد محمد الطيب- مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية- الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ
- تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي الصوفي (ت١٢٢٤هـ)- تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان – الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة- ١٤١٩هـ

(١) سورة المدثر الآية ٣٨.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم- لمجموعة من العلماء، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر- الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- الطبعة: الأولى،١٩٧٣م.

- التفسير الكبير = مَفاتيح الغيب- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)- دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

- التوازن التربوي واهميته لكل مسلم- لمجدي الهلالي- الناشر: دار السراج- الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق- د. صلاح عبد الفتاح الخالدي - دار النفائس- الاردن - ٢٠١٢م.

- التعبير القرآني والدلالة النَّفسية- د. عبد الله محمد الجيوسي- دار الغوثاني للدراسات القرآنية - دمشق ٢٠٠٦م.

- تاج العروس من جواهر القاموس- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)- مجموعة من المحققين.

- تفسير القرآن العظيم- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)- تحقيق: محمد حسين شمس الدين- دار الكتب العلمية، بيروت- الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ

- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)- الدار التونسية للنشر - تونس- ١٩٨٤ هـ

- تفسير الماوردي = النكت والعيون - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)- تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم- دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

- التصوير الفني في القرآن - لسيد قطب- مكتبة كلية الإمام الأعظم (رحمَّه الله) الجامعة، تسلسل ١٢٠ تصنيف ٢٢٠.

- خواطر الإمام الشعراوي- للشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) مطابع أخبار اليوم- ١٩٩٧ م.

- الدراسات النَّفسية عنَّد المسلمين والغزالي بوجه خاص- لعبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه الطبعة الثانية- ١٩٨١م.

- رسالة في تفسير قوله تعالى (إن إبراهيم كان أمّة)- شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي (ت ٩٥٣هـ)- تحقيق: محمد خير رمضان يوسف- دار ابن حزم الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)- تحقيق: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى،

١٤١٥ هـ.

– زادِ المسّير في علم التفسير– جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي– دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

– سيكولوجية القصة في القرآن: التهامي نقرة، عدد الصفحات: ٦٥٣ / الطبعة الأولى / ١٩٧٤م

– سنن ابي داود– أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)– تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي– دار الرسالة العالمية– الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

– سورة يوسف –دراسة تحليلية د. أحمد نوفل، دار الفرقان، الاردن– ١٩٩٩م.

– سورة القصص دراسة تحليلية– للدكتور محمد مظني– كلية العلوم الإسلامية– عضو الهيئة التدريسية / كلية الآداب/ جامعة الأنبار.

– السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي– أحمد أحمد غلوش– مؤسسة الرسالة– الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ

– شعب الإيمان– أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)– حققه وراجعه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي– مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣هـ.

– صحيح البخاري –الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي– تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر– دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)– الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

– صحيح مسلم –المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم– مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)– تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي– دار إحياء التراث العربي – بيروت.

– العين – أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي– دار ومكتبة الهلال

– عَون الحنان في شرح الامثال في القرآن– على أحمد عبد العال الطهطاوى– دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

– الغريبين في القرآن والحديث– أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)– تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي – قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي– مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية– الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ

- فتح القدير - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)- دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٤ه.ـ

- قصص القرآن لابن كثير- للحافظ ابي الفداء اسماعيل عمر ابن كثير (ت ٧٧٤ه) اعتنى به الشيخ احمد علي عبد العال- دار الكتب العالمية- بيروت.

- القصص القرآني في سورة هود- دراسة موضوعية- رسالة ماجستير في كلية الامام الاعظم الجامعة- لمحمد هندي سليمان باشراف الدكتور حسين درويش حنتوش ١٤٣١ه- ٢٠١٠م.

- القاموس المحيط -مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)- تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان- الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ.

- القصص القرآني رؤية فنية- للدكتور فالح الربيعي- الدار الثقافية للنشر- القاهرة ١٤٢٢ه.

- القصص القرآني في منظومه ومفهومه- لعبد الكريم الخطيب- دار الفكر العربي- ١٩٦٤م.

- كشف الأستار عن زوائد البزار- نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)- تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي- مؤسسة الرسالة، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- لسان العرب -محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)- دار صادر - بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) د. محمد حسن حسن جبل- مكتبة الآداب - القاهرة- الطبعة: الأولى،٢٠١٠م.

- المعجم الوسيط -مجمع اللغة العربية بالقاهرة - (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)- الناشر: دار الدعوة

- معجم متن اللغة- (موسوعة لغوية حديثة)- أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)- دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٣٨٠ه.

- مختار الصحاح -زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)- تحقيق: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

- معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)- تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون- دار الفكر- ١٣٩٩هـ

- المخصص-أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)- تحقيق: خليل إبراهم جفال- دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

- مشارق الانوار على صحاح الاثار-عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي،

أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)- المكتبة العتيقة ودار التراث

- مسند ابن أبي شيبة- المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت٢٣٥هـ)- تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي- دار الوطن – الرياض- ١٩٩٧م

- مسند البزار- المنشور باسم البحر الزخار – المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت ٢٩٢هـ)- تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)- وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)- وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)- مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة- الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

- المُحكم والمحيط الأعظم – أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م

- نفحات من علوم القرآن- لمحمد أحمد محمد معبد (ت١٤٣٠هـ)- الناشر: دار السَّلام – القاهرة- ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م

- يُوسف في القرآن والسّنة- لأحمد ماهر البقري دار المعارف – القاهرة ١٩٧٣.